مجلة البحوث والدراسات الإسلامية، عدد خاص بواقع المؤتمر العلمي الدولي بعنوان "التكامل الفكري في مواجهة التحديات العلمية" (٢٠٢٦/٢/١)، ص ص: ١٦٦ – ١٨٨

قوائم المحتويات متاحة على المجلات الاكاديمية العراقية

مجلة البحوث والدراسات الاسلامية

الصفحة الرئيسية للمجلة: https://djisrs.dws.gov.iq

الاسترجاع في الأدب العربي القديم تجلياته الفنية ووظائفه الدلالية

Retrospection/ Analepsis in Classical Arabic Literature: Its Artistic Manifestations and Semantic Functions

م.د. ولاء عبد الكريم ناصر

جامعة كركوك/ كلية التربية الأساسية

Asst. Prof. Dr. Walaa Abdul Kareem Nasser

walaaabdulkarem@uokirkuk.edu.iq

Abstract

This study examines the phenomenon of retrieval (flashback) in classical Arabic literature as one of the artistic and semantic mechanisms that contributed to shaping the temporal structure of literary texts and constructing their aesthetic and intellectual vision. Retrieval is not merely a narrative return to the past; rather, it represents an interpretive act that invokes both individual and collective memory, re–employing it within the text to reveal profound psychological, social, and cultural dimensions. The study seeks to trace the manifestations of retrieval in selected models of classical Arabic poetry, particularly pre–Islamic poetry, highlighting its role in the motif of standing upon the ruins (*al–wuqūf ʿalā al–aṭlāl*), recalling the Days of the Arabs (*Ayyām al–ʿArab*), and evoking personal experiences associated with loss, estrangement, and deprivation. It also focuses on the semantic functions of retrieval in deepening the psychological dimension of the text, linking past and present, and transforming memory into an artistic tool for interrogating social reality and constructing identity. The study ultimately affirms the ability of classical Arabic literature to employ memory as a structural element in the formation of meaning.

معلومات المقال

تاريخ المقال:

ملخص

يتناول هذا البحث ظاهرة الاسترجاع في الأدب العربي القديم بوصفها إحدى الآليات الفنية والدلالية التي أسهمت في تشكيل البنية الزمنية للنص الأدبي، وفي بناء رؤيته الجمالية والفكرية. فالاسترجاع لا يقتصر على كونه عودة سردية إلى الماضي، بل يمثل فعلاً تأويلياً يستدعي الذاكرة الفردية والجماعية، ويُعيد توظيفها داخل النص للكشف عن أبعاد نفسية واجتماعية وثقافية عميقة. ويسعى البحث إلى تتبّع تجليات الاسترجاع في نماذج مختارة من الشعر العربي القديم، ولا سيما الشعر الجاهلي، مبرزاً دوره في الوقوف على الأطلال، واستحضار أيام العرب، والتجارب الذاتية المرتبطة بالفقد والغربة والحرمان. كما يركّز على وظائفه الدلالية في تعميق البعد النفسي للنص، وربط الماضي بالحاضر، وتحويل الذاكرة إلى أداة فنية لمساءلة الواقع الاجتماعي وبناء الهوية. ويؤكد قدرة الأدب العربي القديم على توظيف الذاكرة بوصفها عنصراً بنيوياً في تشكيل المعنى.

١ – المقدمة:

يُعدّ الزمن أحد المكوّنات الجوهرية في البناء الأدبي، وقد أولاه النقد الحديث عنايةً خاصة لما له من دور في تشكيل الدلالة وبناء الخطاب. ويُعدّ الاسترجاع من أبرز التقنيات الزمنية التي تعتمد على استحضار الماضي داخل الحاضر النصي، بوصفه أداة فنية تُسهم في تعميق التجربة الشعورية وتنظيم البنية الفنية للنص. وعلى الرغم من حضور الاسترجاع بوضوح في الأدب العربي القديم، شعرًا ونثرًا، فإن الدراسات التي تناولته غالبًا ما عالجته ضمن موضوعات الحنين أو الذكرى، دون الوقوف عند أبعاده الفنية بوصفه تقنية زمنية واعية. من هنا تنطلق هذه الدراسة للكشف عن مظاهر الاسترجاع ووظائفه الفنية والدلالية في الأدب العربي القديم.

الفصل الأول: الاطار النظري

٢.المبحث الأول: مفهوم الاسترجاع في اللغة والاصطلاح:

الاسترجاع لغة:

الاسترجاع في اصله المعجمي "رجع: رجعت رجوعا ورجعية يستوي فيه اللازم والمجاوز[١]، ويرجع مرجعاً ورجعا ومرجعة ورجعانا[٢] ورجعي ومرجعا، والرجعة هي المرة الواحدة والترجيع عند تقارب ضروب الحركات في الصوت وهو يرجع في قراءاته، وهي قراءة أصحاب الالحان والقينة المغنية ترجعان في غنائهما، وتقول: إنا لله وإنا اليه راجعون، وقال الضرير : أقول : رجع ولا أقول استرجع، والكلام الرجيع هو الكلام المردود إلى صاحبه[٣]، وكذلك يأتي الرجوع بمعنى "العود، والرجع: الإعادة[٤]. والرجع ترجيع الدابة يدها في السير. و كلمة رجع تضم معنى الرجوع فراجع الرجل : اي رجع إلى خير أو شر. تراجع الشيء إلى

---

(١) كتاب العين، الخليل بن احمد الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي –د. إبراهيم السامرائي، وزارة الثقافة والاعلام، بغداد، ١٩٨٥: مادة (رجع) ٢٢٥/١.

(٢) يُنظر: لسان العرب: مادة (رجع) ١١٧/٨. وتاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزبيدي، تحقيق عبد العليم الطحاوي راجعه مصطفى حجازي، ١٤٠٤هـ– ١٩٨٤م، مطبعة حكومة الكويت : ٢١/ ٦٤– ٨٠.

(٣) يُنظر: كتاب العين: ٢٢٥/١–٢٢٦.

(٤) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، تحقيق: احمد عبد الغفور عطار، مادة (رجع): ١٢١٧/٣.

الخلف[١]، ويأتي الرجوع بمعنى اللوم رجع بنفسه رجوعا. ومن خلال ما سبق يتضح ان البنية الدلالية للاسترجاع لغوياً تتشكل من خلال ثلاثة محاور رئيسة: محور مكاني يشير إلى نكوص الحركة أو الرجوع للوراء، ومحور زماني يتجلى في إعادة إنتاج القول أو الفعل ضمن سياق زمني لاحق، ومحور سلوكي يمثل الاستجابة الذاتية والنزوع الإرادي للفرد. وبناءً عليه، يتجاوز المعنى اللغوي دلالته الحرفية ليكون مفهوماً جامعاً للزمكانية والذاتية الإنسانية.

الاسترجاع اصطلاحاً:

الاسترجاع إحدى تقنيات الزمان الشائع استعمالها في الرواية ومن ثم في الاعمال السينمائية كون الروايات مادة الأفلام السينمائية وقد استعملت في الشعر لبيان وتوضيح حوادث قد تكون مهمة من وجهة نظر الشاعر فنراه يصور بعض الاحداث ويصفها من خلال استعمال هذه التقنية فالاسترجاع هو (العودة الى زمن سابق لاستدعاء حدث او احداث وقعت في الماضي، لتخرجنا عن حاضر النص)[٢]، ويمثل الاسترجاع مستوى الصلة بين الترتيب الزمني لتتابع الاحداث في الحكاية والترتيب الزمني الكاذب لتنظيمها في السرد، والاختلاف بين الزمنين يولد حركة زمنين مختلفين احدهما العودة الى الماضي وهو الاسترجاع والآخر الاستباق وهو ما اطلق عليه جيرار جينيت بالمفارقات الزمنية[٣]، كما ويعد الاسترجاع للأحداث الماضية والاستباق للأحداث اللاحقة أساس المفارقة الزمنية وكل (مفارقة تتسم بالمدى والاتساع، حيث ان المدى هو المسافة الزمنية التي تفصل بين لحظة توقف الحكي ولحظة بدأ المفارقة، اما الاتساع فهو المسافة الزمنية التي تستغرقها المفارقة)[٤]، فتنشأ مفارقة زمنية بين الماضي والحاضر إذ ان كُل عودة للماضي تشكل استذكارًا أو استرجاعًا او ارتجاعًا، يقوم لماضيه الخاص وهو ما يسميه تودروف (العودة الى الوراء) وهي تتضح من خلال تعريفه بانها ما قد تُروى لنا فيما

---

(١) يُنظر: لسان العرب: ١١٧/٨.

(٢) المفارقة في قصص وليد اخلاصي: ١٤٨.

(٣) يُنظر: الفضاء الروائي في ادب مؤنس الرزاز: ٤٠.

(٤) البنية السردية في القصص الموجهة للأطفال: ٣٨.

بعد ما قد وقع من قبل، وهذا كله يعتمد على الذاكرة الإنسانية سواء كانت قريبة المدى او بعيدة على حدٍ سواء كما يرى المنظرون وعلماء النفس[١]. والاسترجاع عملية سردية يوظفها الاديب لتنوير النص والقارئ بتقديم معلومات عن الشخصيات الجديدة التي اختفت عن السرد ثم عاودت الظهور مرة أخرى ويريد الكاتب ان يبين لنا ما حدث لها اثناء غيابها أو قد يكون من أجل الاطلاع على حاضر الشخصية، وقد يلجأ اليه في سبيل ملء الثغرات التي يخلفها السرد نتيجة لتركه سرد بعض الاحداث، وقد يوظف الاسترجاع في سبيل العودة الى احداث سبقت اثارتها برسم التكرار الذي يفيد التذكير وربطها بسلسلة من الحوادث او في سبيل تغيير دلالة بعض الاحداث واستبدالها بتفسير جديد[٢]، كما انه يعفي الكاتب من الاستطراد ويتيح المجال للشخصية استرجاع مواقفها عن طريق المونولوج[٣]، وقد يكون الدافع وراء توظيف الاسترجاع دافعًا فنيًا جماليًا لتلبية حاجة التشويق عند المتلقي ومدّه بالمعلومات الكافية عن زمكانية الشخصيات، او قد تكون دوافع نفسية منها التغني بالماضي المجيد وما حققته الشخصية من إنجازات مهمة او قد تكون لتجاوز الواقع العام للشخصية ومحاولة وضع مستقبل لها[٤]، كل هذه الوظائف التي تؤديها تقنية الاسترجاع تعمل على ديناميكية استمرار السرد داخل العمل الادبي. يعمل الوعي السردي على تفعيل الذاكرة الروائية، إذ انها تعمل (بأقصى طاقتها من اجل جلب اللحظة الماضوية واستدراجها في اللحظة الزمنية المناسبة)[٥]، فيعود الى الماضي ويحيل الى احداث سابقة وقعت قبل زمن السرد، فيتداعى على شكل انثيالات سردية تتناسب مع السرد القائم، وبذا يستطيع السارد الوقوف على الكثير من الاحداث الماضية وبيان تفاصيلها، ولا تخضع الاسترجاعات لنظام خاص بل يستدعيها النص وفق ما يقتضيه السرد[٦]. وقد اختلفت الآراء وتعددت

(١) يُنظر: البناء الفني في قصص كاظم الاحمدي: ٤٦.
(٢) يُنظر: بنية الشكل الروائي: ١٢١-١٢٢.
(٣) يُنظر: البناء الفني في قصص كاظم الاحمدي:
(٤) يُنظر: الفضاء الروائي في ادب مؤنس الرزاز: ٤٣-٤٤.
(٥) الخطاب الروائي العربي: ١٤١.
(٦) يُنظر: الفضاء الروائي في ادب مؤنس الرزاز: ٤١-٤٢.

حول نشأة الاسترجاع، فقد يكون نشأ مع الملاحم القديمة وانماط الحكي الكلاسيكي وتطور مع الفنون السردية[١]، ويرى محمد عزّام انه (خاصية حكائية نشأت مع الحكي الكلاسيكي، وتطورت بتطوره، ثم انتقلت الى الاعمال الروائية الحديثة)[٢]، في حين ترى انتصار جويد عيدان ان هذه التقنية استحدثت من الروايات البوليسية التي تقدم الجريمة في بداية القصة، ومن ثم يعود بنا الراوي الى الوراء لمعرفة الأسباب والتفاصيل[٣]، وفي الروايات السياسية التي عالجت ثيمة التصفيات السياسية وتجسدت فيها تلك التقنية فضلاً عن وجودها في الاعمال الحكائية القديمة عند العرب[٤].

٣.المبحث الثاني: الاسترجاع في النقد العربي قديماً وحديثاً

انتقلت تقنية الاسترجاع الى الشعر انتقاله نوعية، فوظفها الشاعر في سبيل اثراء النص الحكائي واضفاء نوع من الحركية والتشويق الجمالي لنصهِ ولتوضيح ابعاد الصورة التي يروم رسمها، إذ يشكل الزمان عنصرًا أساسيًا في الاعمال الإبداعية متضامنًا مع عنصر المكان متخذًا بُعدًا دراميًا في صنع الفضاء الإبداعي فيتخذان بُعدًا اساسًا في (تكوين هوية الكيان الجماعي... ويصبح المكان والزمان رمزًا انسانيًا يأخذ في كثير من دلالالته، منحى جماليًا، يعبر عن موقف وجودي)[٥]، وبذا شكّل الزمان والمكان عنصرين متميزين في الفضاء الشعري الجاهلي، إذ اتخذهما الجاهلي ثيمة متميزة جعلت من النص الشعري عالمًا فسيحًا، فأتسع الإحساس بهما لينبثق من كل الموجودات الطبيعية التي أحاطت بالشاعر وعج بها شعره، من صحراء وجبال ونجوم، والشمس والقمر، والليل والنهار، هذه المظاهر التي أحالت على المكان والزمان في فضائه الواسع التي ساهمت في بناء التشكيل الصوري عند الجاهلي، والتي عُدّت أدوات فنية استطاع من خلالها الجاهلي التعبير عن الإحساس بالزمان على وجه الخصوص والمكان بشكل عام بطابعها الفيزيائي والشعري

(١) يُنظر: بنية الشكل الروائي: ١٢١.
(٢) الفضاء الروائي في ادب مؤنس الرزاز: ٤٢.
(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٤٢.
(٤) يُنظر: الفضاء الروائي في ادب مؤنس الرزاز
(٥) آليات الخطاب النقدي العربي الحديث في مقاربة الشعر الجاهلي: ١٠٢.

الممزوج بالحس الانفعالي[١]. ونظرًا لصعوبة الواقع الذي عاشه الشاعر العربي نتيجة للظروف غير المناسبة من حيث قلة الامطار وتأثيرها على حياته الاقتصادية وشدّة الرياح في الشتاء والجفاف والجدب في الصيف فضلًا عمّا يرافق تلك الظروف البيئية من حروب ومنازعات فقد سأم الجاهلي حياتهِ ووضعهِ الراهن وبدأ يستشعر جمالية وأمان الأيام السالفة الذكر، حيث الماضي القريب او البعيد الذي كان فيه الشيخ الكهل صبيًّا يافعًا، فارسًا مقدامًا يجوب في الصحراء كيفما يشاء ويكرم ضيفه ويلبي نداء الملهوف ويحمي جارهِ ويغزو القبائل الأخرى متى ما استدعى الامر، ويرد عن حمى قبيلتهِ اذا ما تعرضت الى خطر، فالماضي بالنسبة له كان (بهيجًا، فماضي الشيخ شبابه، والضعيف قوته، والذليل عزه، وماضي الطلل امتلاؤه بالحياة والحب، فإذا لاذ بماضيه استراح من عناء مقتهِ)[٢]، ولكون هذا الزمن قد أنصرم عن حياتهِ ولبث بعيدًا، فقد غلب على ذكرهِ مشاعر الحزن والاستعبار، فالماضي لن يعود من جهة، وهو معرّض للنسيان من جهة أخرى[٣]، ولكونه أصبح خارج دائرة الزمن الحاضر لكنه رغم ذلك يحن الى الماضي ويتمنى ان يعود أو ان يتمسك ببعض آثارهِ كي يتغلب على التشظي الذاتي الذي يستشعره في اللحظة الحاضرة نتيجة موقفهِ الراهن، وما المقدمات الطللية التي شاعت في الكثير من القصائد العربية في ذلك العصر الا صورة من صور الحنين والشوق والتذكر لاستعادة الماضي، فتتحول كل الموجودات التي امامه الى بواعث للحنين للماضي إذ (قد يدخل النسيب التشوق والتذكر لمعاهد الأحبة بالرياح الهابة... وآثار الديار العافية، وأشخاص الاطلال الدائرة)[٤]، وبذا فهو يؤكد ان الجاهلي متى ما ابتعد عن موطن أمانهِ وراحته استدعى بذاكرته الأيام التي كان يتمتع فيها بالأمان والراحة بوجود الأحبة والأهل والأوطان، ويرى أبو حيان التوحيدي (إن حال النفس في إنها اذا كانت بعيدة عن مألفها كان نزاعها ايسر فكلما دنت

(١) يُنظر: آليات الخطاب النقدي العربي الحديث في مقاربة الشعر الجاهلي: ١٠٣.

(٢) الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام، د.عبد الاله الصائغ : ٢٥٣.

(٣) يُنظر: المصدر نفسه: ٨٢.

(٤) نقد الشعر، تح: محمد عبد المنعم خفاجي :٤٣.

منه أشتد نزاعها وحركتها التي تسمى شوقًا)[١]، فهو يرى ان الحنين الى الماضي ما هو إلاّ نتيجة ابتعاد النفس عمّا ألفته في السابق، فكان الشاعر اذا أراد ان يرسم صورة معينة ويخلدها يُخيّل فيه حال أحبابهِ ويقيم المعاني التي تحاكيهم في ذهنهِ[٢]. وكما تنبّه النقاد القدامى لربط الحنين بالاسترجاع تنبه لذلك المحدثون منهم، إذ يرى يوسف اليوسف: (وقد نملك ان نرى في الوقوف على الاطلال استرجاعًا واستحضارًا للبرهة الغابرة)[٣]، وبذا فالجاهلي في معرض حنينه الى الماضي يستذكر صورًا كان فيها مزدهرًا فاعلًا في مجتمعهِ، وقد حددت عزّه حسن بواعث القول الشعري في رسم لوحة الاطلال، بقولها: (فإنبعاث ذكرى الأيام الماضية، ثم ثورة الحزن والألم في نفس الشاعر ثانيًا، وهياج الشوق والصبابة ثالثًا، وذهول الشاعر عن نفسهِ رابعًا، والبكاء وذرف الدموع خامسًا، ثم التسلي والتعزي سادسًا، هي أهم الحالات النفسية التي كانت تعتري الشعراء حين وقوفهم على الاطلال)[٤]، فهذه الحالات هي التي تدفع بالشاعر الى الحنين واسترجاع لحظات كانت قائمة في الزمن الماضي وانتهت وهذه الشواخص القائمة دفعته الى استرجاع تلك اللحظات بما فيها من احداث واشخاص وزمان ومكان. ومما سبق يتضح ان الحنين الى الماضي الذي عُرف عند النقاد القدماء منهم والمحدثون ما هو إلا وجه من وجوه الاسترجاع لأنه -كما الاسترجاع- يرتبط بالزمن الماضي، كما انه يرتبط بالأرض والاحبة والديار -كما يرى القدماء- لذا فقط ارتبط بالذكرى الإيجابية التي يكون استرجاعها اشد على النفس؛ لأنه يرتبط بإحساس المأساة لكونه يقف عاجزًا عن استرجاعها[٥].

المبحث الثالث: الزمن الفني في الادب العربي القديم

لم يستعمل النقاد العرب القدماء مصطلح «الزمن الفني» بصيغته الاصطلاحية الحديثة، غير أن تصوّرهم للزمن في العمل الأدبي كان

(١) الهوامل والشوامل، تح : سيد كسروي : ٢٩٨.
(٢) يُنظر: منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ٢٤٩.
(٣) مقالات في الشعر الجاهلي: ١٣٩.
(٤) شعر الوقوف على الاطلال من الجاهلية الى القرن الثالث: ٦٣.
(٥) يُنظر: الاسترجاع في شعر امرى القيس: ١٥.

حاضرًا ضمنيًا من خلال حديثهم عن التجربة، فقد نظر النقاد القدماء إلى الزمن على أنه مرتبط بحالة الشاعر النفسية لا بتتابعه الواقعي، فالشعر عندهم «قولٌ موزونٌ يدلّ على معنى»، والمعنى وليد اللحظة الشعورية لا التسلسل الزمني الدقيق، وهو يرتبط بالزمن النفسي الذي يدل على الوعي بالزمن كجزء من الخلفية الحافظة للخبرة، وبذا يكون مصدره تراكم الخبرة التي يتشكل عبرها الوعي به والتعامل من خلال الخبرة مع الحاضر والتنبؤ بالمستقبل، فالخبرة التي تشكّلت بموجب التجارب الماضية توظف لترسم الحاضر، ودائرة التوقع[١]، ويتبيّن من هنا ان الزمن النفسي يتشكل بموجب تراكم الخبرات، وأكد هذا الرأي فرويد عندما عزا الزمن النفسي للعقل الباطن الذي ((لا يعرف تقسيمات الزمن الى حاضر وماضٍ ومستقبل، وانه عندما يستخرج من الذاكرة تجارب قديمة فهو لا يقدمها للوعي كأنها في الحاضر بل باعتبارها حاضرة فعلاً))[٢]، لذا فهو الزمن الذي يُعاد تشكيله داخل العمل الأدبي وفق مقتضيات الرؤية الفنية والدلالية، لا وفق التتابع الزمني الواقعي للأحداث. وقد حضر هذا المفهوم في النقد العربي القديم حضورًا ضمنيًا من خلال ربط الزمن بالتجربة الشعورية وبناء المعنى، وبالنظر في النصوص الأدبية في العصر الجاهلي يتبيّن ان الخطاب الجاهلي في المقدمات الطللية –على سبيل المثال– يحمل صورًا متعددة لوظائف الزمن منها الطابع المأساوي الذي يجسد الحس الساخر من الحاضر باستخراج الذات من الماضي من اجل انقاذ الحاضر معتمداً على عنصر الطلل كأداة فنية جمالية، فالزمن الجاهلي في الطللية يرتبط في أساسه بالحس الباطني، وهو زمن التجربة الداخلية للعاشق بعيدا عن الزمن الفيزيائي الذي يتحكم فيه الضبط والتدقيق، انه زمان التجربة الداخلية، او زمان الحس الباطن وهو الديمومة التي يحياها العقل في صيرورة افعاله وعملياته

(١) يُنظر: موقف الشعراء في عصر ما قبل الإسلام تجاه الزمن بين التحدي والاستسلام، أطروحة دكتوراه، حسن صالح سلطان: ٨

(٢) موقف الشعراء في عصر ما قبل الإسلام تجاه الزمن بين التحدي والاستسلام: ٨، نقلاً عن : مسائل في الابداع والتصور: ١٦٦.

ورحلاته الداخلية[١]. ومن هنا تتضح اهمية الزمن في الخطاب الادبي فهو يعمق الإحساس بالحدث والشخصيات لدى المتلقي، فترتكز عليه النصوص في تعميق معانيها، وبناء شكلها وكذلك تكثيف دلالتها، وكل حدث داخل النص مرتبط بزمن معين إذ لا يمكن أن نتصور حدثا سواء كان واقعيا أو تخيليا خارج الزمن، كما لا يمكن أن نتصور ملفوظا شفويا أو كتابيا ما دون نظام زمني، إذن هو ركيزة أساسية في كل نص، بغض النظر عن جنس هذا النص[٢] الادبي. لذا اتخذ الزمن في النقد الحديث طابعاً اصطلاحيًا واضحًا بوصفه عنصرًا بنيويًا تتحقق عبره تقنيات سردية متعددة، من أبرزها الاسترجاع والاستباق.

الفصل الثاني: الاسترجاع في الشعر العربي القديم:

الاسترجاع من التقانات السردية التي تشكل ظاهرة مهمة في الشعر ولا سيما الشعر الجاهلي، فليس الشعر وليد اللحظة بل هو وليد تجارب ماضية خبرها الشاعر وهضمها حتى تجلى اثرها في ابداعه، لذا يتوجب تتبع مواطن الجمال والفاعلية التي يحدثها الاسترجاع داخل بنية النص الشعري وما لهذه التقانة من احداث الانعكاس النفسي والاجتماعي والوجودي في حياة الشاعر الجاهلي.

المبحث الأول: الاسترجاع والوقوف على الأطلال:

يتجلّى الاسترجاع في الأدب العربي القديم في صور فنية متعددة، لعلّ أبرزها الوقوف على الأطلال في الشعر الجاهلي، إذ يمثّل هذا التقليد الشعري ممارسة استرجاعية بامتياز، يستدعي فيها الشاعر ماضيه العاطفي والاجتماعي من خلال استحضار المكان بوصفه حاملاً للذاكرة. فالأطلال لا تؤدي وظيفة وصفية فحسب، بل تتحول إلى وسيط رمزي يستدعي زمناً غائباً، ويكشف عن حالة نفسية قوامها الحنين والفقد والانكسار،

---

(١) آليات الخطاب النقدي العربي الحديث في مقاربة الشعر الجاهلي بحث في تجليات القراءات السياقية (دراسة)، د. محمد بلوحي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٤: ١١٠.

(٢) بنية الزمن بين مؤشري الاستباق والاسترجاع في رواية تصريح بضياع ل سمير القيسي، رسالة ماجستير، الباحثة: زينة اسمهان، جامعة عين تموشنت بلحاج بو شعيب، كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية، قسم اللغة والادب العربي، الجزائر، ٢٠٢١/٢٠٢٢م-١٤٤٢/١٤٤٣هـ: ٢٢

فأمرؤ القيس يتذكر ساعة الرحيل التي كانت عبارة عن لحظة مأساوية بالنسبة اليه، يقول[١]:

قِفا نَبْكِ من ذِكْرَى حبيبٍ ومَنْزِلِ — بسِقْطِ اللّوى بين الدَّخول وَحَوْمَلِ
كأنّي غَداةَ البَيْنِ يَوْمَ تحمَّلوا — لدى سَمُراتِ الحيِّ ناقف حنظلِ
وُقُوفاً بها صَحْبي عليَّ مَطِيَّهمْ — يقولون لا تَهْلِكْ أسًى وتجمَّلِ
وإنَّ شِفائي عَبْرَةٌ إن سَفَحْتُها — وهل عند رسمٍ دارسٍ من مُعَوَّلِ

فالحركة الارتدادية في النص موازية لحركة الطلل، إذ أنَّ حالته النفسية متأزمة ناتجة عن الذكرى السلبية للحوادث التي مر بها، ويصور بحركة استرجاعية حالة الحزن والاسى التي يمر بها. يقوم الخطاب الشعري على فعل الاسترجاع الصريح عبر لفظة «ذكرى»، التي تؤسس لبنية زمنية مزدوجة: حاضر الوقوف على الأطلال، وماضٍ عاطفيٍّ يستعاد عبر الذاكرة. فالمكان (المنزل/الطلل) يتحول إلى وسيط رمزي يستدعي تجربة الحب والوصال، ويُفعِّل الحنين بوصفه انفعالًا يعيد تشكيل الماضي داخل الحاضر النصّي. وقد يقف الشاعر على الاطلال لبيان مدى الانكسار الروحي الذي يعانيه بسبب الشيخوخة وتقدم العمر فيه وما يخلفه تقدم العمر من امراض وأوجاع، يقول امرؤ القيس[٢]:

أَلِمّا على الرّبْعِ القَدِيمِ بِعَسْعَسَا — كأنّي أُنادِي أو أُكَلِّمُ أخرسا
فَلَوْ أنَّ أهلَ الدّار فيها كعَهدنا — وجَدْتُ مقيلاً عنْدهُم ومُعرِّسا
فَلا تُنْكروني إنّني أنا ذاكُمُ — ليالِيَ حلَّ الحَيُّ غَوْلاً فألْعسا
تأوّبني دائي القَديمُ فَغَلَّسَا — أحاذرُ أنْ يرْتَدَّ دائي فأنْكسا
فَإمّا تَرَيْني لا أُغْمِضُ ساعَةً — منَ اللّيلِ إلاّ أنْ أُكب فأنعسا
فَيا رُبَّ مَكْروبٍ كَرَرْتُ وراءهُ — وطاعنْتُ عنه الخيلَ حتى تَنَفّسَا
ويَا ربَّ يَوْمٍ قَدْ أرُوحُ مُرَجّلاً — حبيباً إلى البيض الكَواعِبِ أمْلَسَا
يَرعْنَ إلى صَوْتي إذا ما سَمِعْنَهُ — كما ترْعوي عيطٌ إلى صَوتِ أعْيَسا
أرَاهُنَّ لا يُحْبِبْنَ مَنْ قَلّ مالُه — ولا منْ رأيْن الشّيْب فيه وقُوَّسا
وما خِفتُ تبريحَ الحياة كما أرَى — تضيقُ ذراعي أنْ أقومَ فألْبَسَا
فَلَوْ أنها نَفْسٌ تمُوتُ جميعَةً — ولكنّها نَفْسٌ تسَاقَطُ أنْفُسا
وبُدِّلْتُ قَرْحاً دامياً بعْدَ صحّة — لعلَّ مَنايانَا تحوَّلنَ أبؤسا
لقدْ طمحَ الطّماح من بُعد أرضه — ليُلبسَني منْ دائه ما تَلْبَسَا
ألا إنَّ بعْدَ العُدْمِ للمرء قنْوةً — وبَعْدَ المشيب طول عَمُر ومَلبسا

تتألف هذه القصيدة من أربعة عشر بيتاً شغل الحديث عن الحاضر

(١) ديوانه: ٨-٩.

(٢) ديوانه: ١٠٧-١٠٨.

فيها ثمانية أبيات، فيما كان نصيب الماضي أربعة أبيات فيما يتداخل الحاضر مع الماضي في البيتين الثالث والثاني عشر، ومن الملاحظ أن القصيدة انطلقت في التعبير عن اللحظة الحاضرة واتجهت نحو الماضي بحركة ارتدادية ثم عادت إلى الحاضر مما أدى الى كسر النمطية الزمنية المعروفة، ولا شك أن حركات القصيدة الثلاث تغاير حركات القصائد الأخرى التي لا تعود في نهايتها إلى الحديث عن الحاضر إذ استهل الشاعر قصيدته بمطلع تقليدي يتمثل بدعوة الصحب إلى الوقوف على الطلل ، ذلك الطلل الذي يفتقر إلى الوصف والتأطير الجغرافي ، فـ (عسعس) التي عدها الشارح موضعاً بعينه يحمل دلالة زمنية، إذ إن من بين مرجعياتها المعجمية أواخر الليل ، وهذا الوقت هو الوقت المفضل للنوم عند الإنسان آنذاك ، ومما يجعلنا نتجاوز الدلالة المكانية لهذه المفردة ونتبنى دلالتها الزمانية التي تكشف عن حاجة الشاعر إلى النوم آخر الليل (معرساً)، ومن هنا فإن الطلل لا يمثل شاخص فناء وقف الشاعر عليه أو استذكره، بل إنه يمثل حنيناً لزمن شمله الهناء كما توحي بذلك لفظة (الربع) ، ولكن هذا الحنين لا يجدي لأن ماضي الحيوية سلك طريق اللاعودة ، فبدلاً من أن يتجاوز الشاعر البرهة الطللية عبر الرحلة نراه يكشف عن تغير البنية الاجتماعية تجاهه، فأهل الدار قد قلبوا له ظهر المجن وأظهروا له الجفاء مع أنه لا يريد منهم شيئاً مهماً فأقصى طموحه الخلود للنوم قليلاً (مقيل و معرس)، وأمام هذا الإنكار يستحضر الشاعر شيئاً من إنجازاته الماضوية من أجل إقامة تواصل بينه وبين الجماعة التي غربته محاولاً نفي ما طرأ عليه من تغير من خلال أسلوب النهي والتوكيد المتلاحق (إن ضمير الفصل أنا) ليسرد بعض إنجازاته في الماضي مؤطراً مسرح الفعل جغرافياً (غول والعس) انه يريد أن يؤكد أن عجزه الحاضر لا ينفي قدراته الماضية يوم كان يؤدي دور المنقذ للمكروب في الشدائد، أما في وقت الراحة فقد كان جميل المحيا يفيض نعومة وشباباً تتهالك الكواعب عليه مجسداً ذلك بصورة رعوية استقاها من بيئته كما ترعوني عيط. إن تشبيه المرأة بالناقة التي لم تحمل في عامها لم يكن الهدف منه إبراز جمالها وإنما القصد منه إبراز جماله الأخاذ الذي جعل الكواعب يندفعن نحوه اندفاعاً حيوانياً من غير مراعاة للقيم الاجتماعية إلا أن حركة الارتداد هذه لم تمكن الشاعر من تجاوز حاضر التفتت إذ سرعان ما تغيب صورة

الماضي لبطل الحاضر بوجهه المقيت هذا الحاضر الذي يصادف فيه الشاعر بجفاء من النسوة بعد أن سلبه الزمن المال والشباب اللذين تهيم المرأة حباً بهما ، ومما يزده أسى مفاجأة الزمن له بكل أشكال الضعف والألم حتى بات عاجزاً عن ارتداء ملابسه ليتحول الموت في نظره إلى أمنية بعيدة المنال معبراً عنها بأسلوب الشرط الدال على التمني فـ (لو) في البيت الحادي عشر جاءت بمعنى ليت يدل على ذلك غياب جوابها. تظهر المفارقة بين الماضي والحاضر بصورتها المثلى في البيت الثاني عشر (بدلت فرحاً دامياً بعد صحة)، فزمن العافية والهناء انقضى واستبدل بألم مستمر غير قابل للتناهي كما يوحي بذلك النعت (دامياً) الذي يعطي دلالة الاستمرارية اللامنقطعة، ووسط لجة الإحساس بالألم نجد الشاعر يختم قصيدته باحتمال حصول تغير إيجابي ظاهرياً، فثمة بارقة أمل في الخلاص تلوح في أفقه إلا أن القراءة المتأنية تظهر أنه يسخر من مستقبله خاصة .والمستقبل الإنساني بشكل عام ، فإذا كان احتمال تحقق الغنى بعد الفقر وارداً فما الذي سيجيء بعد الشيب إلا حياة مريرة يكون الموت أخف وطأة منها، فالإنسان كما يقول تونبي إذا ما عمر طويلاً فإنه سيتمنى الموت جزعاً من طول الحياة[1]. لقد تبين لنا من خلال التحليل المتقدم أن قصيدة الشيخوخة لها بنية متميزة تختلف عن بنية القصائد ذات الأغراض الثلاثة النسيب – الرحلة – المدح التي رصد بنيتها ابن قتيبة وهو يعلل دور تعدد الشرائح في قصيدة المدح[2]، كما أن دور الشرائح له وظيفة مغايرة فشريحة الطلل لا تلعب دور الحافز والمحرك لتجاوز شواخص الفناء كما هو الحال في القصائد الأخرى، وإنما تكشف عن حسن العجز والتلاشي واليأس المخيم على الشاعر وهو يعاني بؤس الشيخوخة وآلامها، كذلك الحال مع الحركة الارتدادية نحو الماضي إذ إن للحركة الارتدادية دوراً سلبياً في قصيدة الشيخوخة فهي تكشف عن المفارقة بين الحاضر والماضي ، فالماضي يمثل زمناً هانئاً غير قابل للعودة والتكرار في حين أن الحاضر يفرض كثافته وهيمنته ويعمق حسن اليأس من الخلاص، وحركة الارتداد حركة قصيرة سرعان ما تنتهي ليعود الحديث عن الحاضر وأساه كما بدأ، ويبدو لنا أن هذا التغاير في البناء فرضته حالة العجز الحاضرة التي

(١) يُنظر: مسائل في الابداع والتصوير: ١٨٩.
(٢) الشعر والشعراء، ابن قتيبة الدينوري: ١/٢٠-٢١.

حجبت عن الشاعر القدرة على بعث ماضيه ومنحه شكلاً قابلاً للتكرار والتواصل[١]. كما يظهر الاسترجاع في استحضار أيام العرب وحروب القبائل ومآثرها، حيث يُستثمر الماضي الجماعي لتعزيز قيم الشجاعة والبطولة والانتماء القبلي، فقد وجد الشاعر زهير بن جناب في صبر قومه عند لقائهم غطفان وانتصارهم عليهم خير ما يفخر به، اذ يقول[٢]:

فلم تصبر لنا غطفان لما ... تلاقينا وأحرزت النساء

فلولا الفضل منا ما رجعتم ... الى عذراء شيمتها الحياء

فدونكم ديوناً فاطلبوها ... واوتاراً ودونكم اللقاء

فانا حيث لا يخفى عليكم ... ليوث حين يحتضر اللواء

فقد اضحى لحي بني جناب ... فضاء الأرض والماء الرواء

نفينا نخوة الأعداء عنا ... بأرماح اسنتها ظماء

ولولا صبرنا يوم التقينا ... لقينا مثل مالاقت صداء

يستخدم الشاعر تقنية الاسترجاع الذاتي والتاريخي للفخر بقبيلته، اذ يقوم باستحضار تجربة القبيلة ومآثرها في الماضي لتعزيز الفخر والاعتزاز بالحاضر، اذ يشير الى احداث تاريخية وقعت بين القبائل، ولعل من ابرز هذه الاحداث مواجهة قبيلة غطفان وقبيلة بني جناب –مدار فخر الشاعر– ، فالشاعر تمكن من توظيف تقنية الاسترجاع من خلال الانتقال للزمن الماضي، فيعبر عنه وكأنه وقتا حاضراً لا ماضياً انتهى قبل زمن التكلم، وبيّن ذلك من خلال قوله: (فلم تصبر لنا غطفان، فلولا الفضل منا ما رجعتم...) مما يعكس استحضار الشاعر لتجربة القبيلة في الماضي، فضلا عن استعمال الشاعر تقنية الاسترجاع لتعزيز الهوية القبلية حيث يشير الى مآثر القبيلة وشجاعة مقاتليها، مما يعكس اعتزازه بقبيلته وتاريخها، وهنا يتضح توظيف الشاعر لتقنية الاسترجاع لتعزيز الفخر والاعتزاز بالحاضر، واستحضار تجربة القبيلة في الماضي، وتعزيز الهوية القبلية.

٣.المبحث الثاني: استرجاع الذكريات العاطفية والوجدانية:

يُعدّ استرجاع الذكريات العاطفية والوجدانية في الشعر الجاهلي بنيةً تعبيريةً تتأسّس على استدعاء الشاعر لتجاربه الانفعالية الماضية،

(١) يُنظر: موقف الشعراء في عصر ما قبل الإسلام تجاه الزمن بين التحدي والاستسلام، أطروحة دكتوراه، حسن صالح سلطان، كلية التربية، جامعة الموصل، العراق، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م: ١٠٣–١٠٥.

(٢) أيام العرب واثرها في الشعر الجاهلي: ١٢١.

ولا سيّما تجارب الحبّ والوصال والفقد، بوصفها خبرةً شعوريةً يعاد تشكيلها داخل الحاضر النصّي. فالماضي في هذا السياق لا يُستحضر بوصفه زمنًا منقضيًا فحسب، بل يُعاد إنتاجه فنيًا ليغدو عنصرًا فاعلًا في بناء الدلالة وتشكيل الرؤية الشعرية. وعليه، فإن استرجاع الذكريات العاطفية في الشعر الجاهلي يُعدّ آلية فنية تعبّر عن عمق التجربة الوجدانية للشاعر، وتكشف عن وعيه بالزمن والتحوّل، كما تسهم في تشكيل البنية النفسية والجمالية للنصّ، يقول امرؤ القيس[1]:

صَـرَمْتَكَ بَعْـدَ تَوَاصُـلٍ دَعْـدُ ... وَبَـدَا لِدَعْـدٍ بَعْـضُ مَـا يَبْـدُو

طَـالَ المِطَـالُ وَلَـيْسَ حِـينَ تَقَـاطُعٍ ... لَـاهِ ابْـنُ عَمِّـكَ والنـوَى تَعْـدُو

وَزَعَمْـتِ أَنِّـي قَـدْ كَبِـرْتُ وَإِنَّمَـا ... تِلْـكَ المَكَـارِمُ لَـيْسَ لِـي عَهْـدُ

إن تَصْـرِمِي يَـا دَعْـدُ أو تَتَبَـدَّلِي ... غَيْرِي ، فَلَـيْسَ لِمُخْلِـفٍ عَقْـدُ

ولقـد تواعِـدُني الأوانِـسُ كالـ ... ـدُّمَى بعـد الهـدُوّ فيلتقِـي الوَعْـدُ.

نومَ العيون ومُطْرَفى فرْدٌ ... نحنى وكِمْعى صاحبٌ جَلْـدُ

فأبيـت أنْعَـمَ نـاعمٍ مُطِـرَ الصِّـ ... ـبَا لو نال حيًّا نَالنى الخُلْدُ

يؤدي استدعاء الذاكرة إلى ارتداد الذات الساردة نحو الماضي، حيث تستحضر مرحلة الشباب بما تنطوي عليه من حيوية وفاعلية، في محاولة رمزية للتخلص من وطأة اللحظة الراهنة وثقل الزمن الحاضر. فالعودة إلى الماضي هنا لا تمثل مجرد تذكر عابر، بل تشكّل آلية دفاعية وجمالية في آنٍ معًا، تستثمر الذاكرة بوصفها فضاءً بديلاً تتخفف فيه الذات من شعورها بالعجز.

ويتحدد مفصل هذا الارتداد الزمني في قوله: «ولقد تواعدني الأوانس»، إذ ينبثق منه فيضٌ من الحيوية والقدرة على الفعل والتمتع، بما يعكس انتقال السارد من وضعية العجز في الحاضر — حيث يغدو موضوعًا للفعل — إلى وضعية الفاعل الحقيقي في الماضي. فالماضي هنا يُستعاد بوصفه زمناً للامتلاء والقدرة، في مقابل حاضرٍ موسوم بالقصور والانكسار. ويعمد السارد إلى تحيين ذلك الماضي عبر توظيف الفعل المضارع المسبوق بلام التوكيد و(قد)، وهي صيغة تجمع بين دلالتي التحقيق والاستمرار، فالفعل المضارع بما

(١) ديوانه: ٢٣٠-٢٣١. ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة- مصر، د.ت، ط٥.

ينطوي عليه من معنى التجدد والديمومة، يسهم في جعل الماضي ممتدًا في الوعي، غير منقطع الصلة بالحاضر، وبهذه الآلية الأسلوبية يتحول الماضي إلى زمن فاعل، يمارس حضوره وتأثيره في اللحظة الراهنة، ويُنظر إليه من منظور الحاضر لا بوصفه زمنًا منقضيًا، بل زمنًا قابلاً للاستعادة والتفعيل. إن هذا التشكيل اللغوي يمكّن السارد من إعادة ضخ الحيوية في زمنه الحاضر، ويمنحه منفذًا رمزيًا للتحرر من الإحساس بالعجز، بل وللخروج من حصار الزمن الراهن. كما أن اقتران الفعل بأدوات التوكيد يعزز دلالة التحقق والانتظار، فيغدو اللهو — بوصفه تجربة ماضية — قضية لا زمنية، قابلة للحدوث في أي آن. ومن ثمّ تتجلى محاولة الذات في تجاوز حدود اللحظة الآنية، عبر استثمار الذاكرة بوصفها أفقًا مفتوحًا يعيد تشكيل العلاقة بين الماضي والحاضر على نحوٍ دينامي متواصل(١).

امبحث الثالث: الوظيفة الفنية للاسترجاع

لا يوظف الاديب عموما والشاعر على وجه التحديد تقنية فنية في نصه اعتباطاً، بل هو يعي ما ينظم، ولا سيما اذا كانت التقنية مرتبطة بالزمان الذي هو عنصر أساس من عناصر تشكيل النص الادبي، إن دخول الاسترجاع في النص ليس مجانيًا، بل يحمل أهدافًا وبواعث فنية مهمة. فالاسترجاع يتيح إعطاء معلومات عن ماضي عناصر الحكاية، وإقامة الجسور فوق الثغرات التي قد تظهر في السرد. كما أنه وسيلة مهمة لانتقال المعنى داخل النص، حيث يمكن تغيير دلالة الأحداث الماضية بإعطاء دلالة جديدة لعالم لم يكن له دلالة أصلا، أو سحب تأويل سابق واستبداله بآخر يغير مجرى الحدث، بهذا، يصبح الاسترجاع أداة مهمة لإبراز القيمة الدلالية لبعض عناصر السرد، وتعزيز حضور التأويل في النص. كما يسهم اشتغال الماضي في فهم الحاضر الراهن، ويظهر مدى اتساع خيال السارد وقدرته على التعامل مع مقتضيات اللعبة السردية. ويعكس مدى

(١) يُنظر: ملامح السرد في شعر أصحاب المعلقات العشر الطوال: ٣٢.

التلازم بين الكيانات المسترجعة والحدث المسرود في النص[١]. لذا يعد الاسترجاع وسيلة مهمة لتعزيز فهم النص وتفسيره، ويظهر قدرة السارد على استخدام الأدوات السردية لخلق معنى جديد ومثير، ومن هنا تتجلى الوظيفة الفنية للاسترجاع بأكثر من مستوى، منها:

أولًا: تعميق التجربة الشعورية:

يسهم الاسترجاع في نقل القارئ من الحاضر إلى الماضي، بما يحمله من مشاعر الفقد أو الحنين أو الأسى، فيمنح القصيدة عمقًا وجدانيًا ويجعل التجربة الشعرية أكثر صدقًا وتأثيرًا، لأن الذاكرة غالبًا ما تكون مشحونة بالعاطفة.

ثانيًا: بناء الوحدة النفسية للقصيدة:

الاسترجاع لا يأتي عنصرًا عارضًا، بل يعمل على ربط أجزاء القصيدة نفسيًا؛ إذ تتوحد مشاعر الشاعر بين الماضي والحاضر، فتتشكّل بنية داخلية متماسكة تقوم على التوتر الزمني بين ما كان وما هو كائن فتغدو القصيدة تعبيراً عن حالة نفسية واحدة ممتدة عبر الزمن، يقول زهير بن ابي سلمى:

تذكَّرتُ ليلى والسنينَ الخواليا ... وأيامَ لا نَخشى على اللهو ناهيا

بتوظيف تقنية الاسترجاع يسترجع الشاعر زمن الشباب والأمان، ليُبرز الفرق بين صفاء الماضي وثقل الحاضر، وبذلك يؤدي الاسترجاع وظيفة الربط النفسي بين أجزاء القصيدة.

ثالثًا: تنظيم الزمن الفني:

يُعدّ الاسترجاع وسيلة فنية لكسر الخطية الزمنية، إذ يتيح للشاعر التحكّم في حركة الزمن داخل القصيدة، فيقدّم الماضي على الحاضر أو يزاوجهما، مما يخلق تنوّعًا إيقاعيًا ودلاليًا في بنية النص، ومنه قول عنترة بن شداد[٢]:

هلاَّ سألتِ الخيل يا ابنة مالك ... إنْ كنْتِ جاهِلةً بما لَمْ تَعْلَمي

يُخْبِرْكِ مَن شَهِدَ الوقائع أنَّني ... أغْشَى الوغى وَأعِفُّ عِنْدَ المَغْنَمِ

فالاسترجاع هنا لا يصف الماضي فقط، بل يُعيد تشكيله بصريًا في الحاضر، مؤديًا وظيفة إحياء الزمن الغائب.

---

(١) يُنظر: ملامح السرد في شعر أصحاب العشر الطوال، أطروحة دكتوراه، ميلاد عادل جمال المولى، كلية التربية، جامعة الموصل، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م: ٢٢، ويُنظر: بنية الشكل الروائي: ١٢١-١٢٢.

(٢) ديوانه: ٢٠٧-٢٠٩.

رابعًا: الإيحاء بدل التصريح:

يؤدي الاسترجاع وظيفة إيحائية، إذ يعبّر الشاعر عن معاناته أو فقده من خلال استدعاء مشاهد وأحداث ماضية، دون الحاجة إلى التصريح المباشر، مما يعزّز الطاقة الرمزية للقصيدة، يقول عنترة[1]:

يا دارَ عَبْلَةَ بالجواء تَكَلَّمي ... وَعَمي صَباحًا دارَ عَبلَةَ وَاسلَمي

دارٌ لآنسةٍ غضيضٍ طرفُها ... طوعِ العناق لذيذة المُتَبَسِّمِ

فالنداء الموجّه إلى الدار هو استرجاع رمزي للغائبة، يؤدي وظيفة التعبير غير المباشر عن الشوق والمعاناة.

خامسًا: ترسيخ البعد الدلالي:

يساعد الاسترجاع على تكثيف المعنى، فالماضي المستعاد لا يُستحضر لذاته، بل ليخدم دلالة حاضرة؛ كالمقارنة بين زمن القوة وزمن الضعف، أو بين الوصل والهجر، يقول الاعشى:

ألم تَئِـهَ نَفْسَكَ عَمّا بها ... بلى عادها بعض اطرابها

لجارتنا، اذ رأت لمتي ... تقول لك الويل أنّى بها

فان تعهديني ولي لمة ... فان الحوادث الوى بها

سادسًا: إبراز هوية الشاعر ورؤيته:

من خلال الاسترجاع، يكشف الشاعر عن رؤيته للوجود والزمن، وعن علاقته بالمكان والذاكرة، مما يمنح القصيدة بعدًا فلسفيًا وإنسانيًا، لا يقتصر على التجربة الفردية. ومن هنا يتبيّن إن الاسترجاع في بناء القصيدة ليس مجرد حنين إلى الماضي، بل هو أداة فنية واعية تُسهم في تشكيل البنية الزمنية، وتعميق الدلالة، وبناء الوحدة الشعورية، ومنح النص كثافة جمالية ودلالية. يتجلّى استرجاع الذكريات العاطفية والوجدانية في الشعر الجاهلي بوصفه بنيةً فنيةً مركزية تسهم في تشكيل الرؤية الزمنية للنصّ، إذ يقوم الخطاب الشعري على استدعاء تجربةٍ انفعاليةٍ ماضية وإعادة إنتاجها داخل الحاضر الشعري بما يمنحها فاعليةً دلالية متجدّدة. ويتضح ذلك بجلاء في مطالع القصائد الطللية، كما في معلّقة امرؤ القيس التي تستهلّ بفعل البكاء على ذكرى الحبيب والمنزل، حيث تؤسّس لفظة «ذكرى» لبنية زمنية مزدوجة يتداخل فيها الماضي بالحاضر، ويتحوّل الطلل إلى وسيط رمزي يستثير الذاكرة ويُفعّل الحنين. وعلى نحوٍ مماثل، يخاطب عنترة بن

(١) ديوانه: ١٨٢-١٨٤.

شداد دار عبلة، فيستحضر عبر المكان زمنًا عاطفيًا مضى، فتغدو الدار محفّزًا لاستعادة تجربة الحبّ وإحيائها في الوعي الشعري. أمّا عند لبيد بن ربيعة، فإن استرجاع الديار العافية لا يقتصر على الحنين، بل يتجاوز ذلك إلى تأمّلٍ وجوديٍّ في تحوّلات الدهر وسلطان الفناء. وبذلك يغدو استرجاع الذكريات في الشعر الجاهلي تقنيةً شعريةً تُعيد بناء الزمن في صيغةٍ غير خطّية، وتكشف عن توتّر الذات بين ما كان وما هو كائن، بما يضفي على النصّ عمقًا نفسيًا وجماليًا يؤسّس لوعيٍ زمنيٍّ مركّب داخل التجربة الشعرية.

الخاتمة

- يُعَدّ الاسترجاع أو (الارتداد الى الماضي) من أبرز الآليات الزمنية التي أسهمت في تشكيل البنية الفنية والدلالية للنص الأدبي في الأدب العربي القديم، ويُقصد به عودة الشاعر أو السارد إلى أحداث أو وقائع سابقة على زمن التلفّظ أو السرد، واستحضارها داخل النص بوصفها جزءاً من التجربة الشعورية أو السردية.
- لا ينفصل أسلوب الاسترجاع عن طبيعة الوعي الزمني في الثقافة العربية القديمة، التي اتسمت بتداخل الأزمنة وتراكبها، أكثر من خضوعها للتسلسل الزمني الخطي الصارم.
- يمكن النظر إلى استرجاع الذكريات العاطفية والوجدانية في الشعر الجاهلي بوصفه تقنية سردية–شعرية تسهم في تشكيل البنية الزمنية للنص، وتمنحه كثافةً دلاليةً تكشف عن وعي الشاعر بذاته وبعلاقته بالزمن والوجود.
- استرجاع الذكريات العاطفية في الشعر الجاهلي ليس مجرّد حنين ذاتي، بل هو آلية فنية تُعيد بناء الزمن داخل النص.
- يؤسس النص الجاهلي لوعي زمني مركّب، تتداخل فيه طبقات الذاكرة والعاطفة، بما يمنح التجربة الشعرية عمقًا نفسيًا وجماليًا.
- يؤدي الاسترجاع عدّة وظائف دلالية، فيضطلع الاسترجاع بعدة أدوار أساسية؛ إذ يسهم في تعميق البعد النفسي للنص، عبر الكشف عن التحولات الداخلية في ذات الشاعر، وإبراز الصراع بين ما كان وما هو كائن. كما يؤدي وظيفة اجتماعية

وثقافية، من خلال ربط التجربة الفردية بالسياق الجماعي، واستدعاء الذاكرة القبلية أو الجماعية بوصفها مرجعية قيمية. وإلى جانب ذلك، ينهض الاسترجاع بوظيفة نقدية غير مباشرة، إذ يُستخدم لمساءلة الواقع الراهن عبر مقارنته بالماضي، سواء أكان هذا الماضي واقعياً أم متخيَّلاً.

- يتجلّى الاسترجاع في خطاب المكان بوصفه كياناً حيًّا. فالنداء والحوار مع الدار يعكسان رغبة الشاعر في إحياء زمنٍ مضى ارتبط بحضور المحبوبة، وإنّ استحضار المحبوبة يتمّ عبر ذاكرة المكان، فتغدو التجربة العاطفية عنصرًا بنيويًا في تشكيل المشهد الشعري.

المصادر والمراجع

- آليات الخطاب النقدي العربي الحديث في مقاربة الشعر الجاهلي بحث في تجليات القراءات السياقية (دراسة)، د. محمد بلوحي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٤.
- أيام العرب واثرها في الشعر الجاهلي، منذر الجبوري، دار الشؤون الثقافية العامة- آفاق عربية، العراق- بغداد، ط٢، ١٩٨٦م.
- البناء الفني في قصص كاظم الاحمدي، د. اياد جوهر عبد الله،
- بنية الشكل الروائي، الفضاء- الزمن- الشخصية، حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٠م.
- تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزبيدي، تحقيق عبد العليم الطحاوي راجعه مصطفى حجازي، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م، مطبعة حكومة الكويت.
- الخطاب الروائي العربي: ١٤١ .
- ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة- مصر، ط٥، ١٩٥٨م.
- ديوان عنترة تحقيق ودراسة، محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي، د.ط، ١٩٦٤م.
- الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام، د.عبد الاله الصائغ، عصمى للنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، د.ت، د.ط.
- شعر الوقوف على الاطلال من الجاهلية الى القرن الثالث دراسة تحليلية، د. عزة حسن، دمشق، ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م، د.ط.
- الشعر والشعراء، ابن قتيبة الدينوري، تحقيق: احمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر، د.ت، د.ط.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: احمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، ط٢، ١٣٩٩ه – ١٩٧٩م.
- كتاب العين، الخليل بن احمد الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي –د. إبراهيم السامرائي، وزارة الثقافة والاعلام، بغداد، ١٩٨٥.

- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، د.ت، د.ط.
- مسائل في الابداع والتصوير، جمال عبد الملك (ابن خلدون)، دار التأليف والترجمة، الخرطوم- السودان، ط١، ١٩٧٠م.
- مقالات في الشعر الجاهلي، يوسف اليوسف، دار الحقائق، بيروت- لبنان، ط٤، ١٩٨٥م.
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، أبو الحسن حازم القرطاجني، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، دار الكتب الشرقية، تونس، ١٩٦٦م.
- نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تح: محمد عبد المنعم خفاجي ، دار مكتبة الكليات الازهرية، مصر، د.ط، ١٩٧٩م.
- الهوامل والشوامل، ابي حيان التوحيدي ومسكويه، نشره احمد امين، السيد احمد صقر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة- مصر، د.ط ، ١٣٧٠ه – ١٩٥١م.

الرسائل والاطاريح:

- الاسترجاع في شعر امريء القيس، ايناس سلمان عبد المجيد، رسالة ماجستير، جامعة الموصل، كلية التربية الاساسية، ١٤٤٠ه ــ ٢٠١٨م.
- بنية الزمن بين مؤشري الاستباق والاسترجاع في رواية تصريح بضياع ل سمير القيسي، رسالة ماجستير، الباحثة: زينة اسمهان، جامعة عين تموشنت بلحاج بو شعيب، كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية، قسم اللغة والادب العربي، الجزائر، ٢٠٢١/٢٠٢٢م- ١٤٤٢/١٤٤٣هـ.
- البنية السردية في القصص الموجهة للأطفال، رسالة ماجستير، نعيمة روابحي، جامعة محمد بوضياف- بالمسيلة، الجزائر، ٢٠١٦-٢٠١٧.
- الفضاء الروائي في ادب مؤنس الرزاز، أطروحة دكتوراه، نجوى محمد جمعة، جامعة البصرة، كلية التربية، ١٤٣٢ه- ٢٠١١م.
- المفارقة في قصص وليد اخلاصي، ارشد يوسف عباس، أطروحة دكتوراه، جامعة الموصل، كلية التربية، ٢٠٠٦م.
- ملامح السرد في شعر أصحاب العشر الطوال، أطروحة دكتوراه، ميلاد عادل جمال المولى، كلية التربية، جامعة الموصل، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.
- موقف الشعراء في عصر ما قبل الإسلام تجاه الزمن بين التحدي والاستسلام، أطروحة دكتوراه، حسن صالح سلطان، كلية التربية، جامعة الموصل، العراق، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

References

- Bluhi, Muhammad. *Mechanisms of Modern Arabic Critical Discourse in Approaching Pre-Islamic Poetry: A Study in the Manifestations of Contextual Readings*. Publications of the Arab Writers Union, Damascus, 2004.
- Al-Jubouri, Mundhir. *Ayyām al-ʿArab and Their Impact on Pre-Islamic Poetry*. Dar al-Shu'un al-Thaqafiyya al-ʿAmma – Afaq ʿArabiyya, Baghdad, 2nd ed., 1986.

- Abdullah, Iyad Jawhar. *The Artistic Structure in the Stories of Kazem Al-Ahmadi*.
- Bahrawi, Hassan. *The Structure of the Novelistic Form: Space – Time – Character*. Arab Cultural Center, Beirut, 1st ed., 1990.
- Al-Zabidi, Murtada. *Taj al-ʿArus min Jawahir al-Qamus*. Ed. Abd al-ʿAlim al-Tahawi, reviewed by Mustafa Hijazi. Kuwait Government Press, 1984.
- *The Arabic Novelistic Discourse*.
- *Diwan of Imru' al-Qays*. Ed. Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim. Dar al-Maʿarif, Cairo, 5th ed., 1958.
- *Diwan of ʿAntarah ibn Shaddad*. Ed. and study by Muhammad Saʿid Mawlawi. Al-Maktab al-Islami, 1964.
- Al-Sa'igh, Abd al-Ilah. *Time in the Poetry of the Arabs before Islam*. ʿIsma Publishing and Distribution, Cairo.
- Hassan, Azza. *The Poetry of Standing on the Ruins from the Pre-Islamic Period to the Third Century: An Analytical Study*. Damascus, 1968.
- Ibn Qutaybah al-Dinawari. *Poetry and Poets (al-Shiʿr wa al-Shuʿara')*. Ed. Ahmad Muhammad Shakir. Dar al-Maʿarif, Egypt.
- Al-Jawhari, Ismaʿil ibn Hammad. *Al-Sihah: Taj al-Lughah wa Sihah al-ʿArabiyyah*. Ed. Ahmad Abd al-Ghafur Attar. Dar al-ʿIlm lil-Malayin, Beirut, 2nd ed., 1979.
- Al-Farahidi, Al-Khalil ibn Ahmad. *Kitab al-ʿAyn*. Ed. Mahdi al-Makhzumi and Ibrahim al-Samarrai. Ministry of Culture and Information, Baghdad, 1985.
- Ibn Manzur. *Lisan al-ʿArab*. Dar Sader.
- Jamal Abd al-Malik (Ibn Khaldun). *Issues in Creativity and Imagery*. Dar al-Ta'lif wa al-Tarjama, Khartoum, 1st ed., 1970.
- Al-Yusuf, Yusuf. *Studies in Pre-Islamic Poetry*. Dar al-Haqa'iq, Beirut, 4th ed., 1985.
- Minhaj al-Bulagha' wa Siraj al-Udaba' (The Methodology of the Eloquent and the Lamp of Literati), by Abu al-Hasan Hazim al-Qartajanni. Edited by Muhammad al-Habib ibn al-Khuja. Dar al-Kutub al-Sharqiyya, Tunis, 1966.
- Naqd al-Shiʿr (Critique of Poetry), by Qudamah ibn Jaʿfar. Edited by Muhammad ʿAbd al-Munʿim Khafaji. Dar Maktabat al-Kulliyat al-Azhariyya, Egypt, 1979.
- Al-Hawamil wa al-Shawamil (The Hawamil and the Shawamil), by Abu Hayyan al-Tawhidi and Miskawayh. Edited by Ahmad Amin and al-Sayyid Ahmad Saqr. Lajnat al-Ta'lif wa al-Tarjama wa al-Nashr Press, Cairo, 1951 (1370 AH).
- *Retrieval (Flashback) in the Poetry of Imru' al-Qays*, by Enas Salman ʿAbd al-Majid. Master's Thesis, University of Mosul, College of Basic Education, 2018 (1440 AH).
- *The Structure of Time between the Indicators of Foreshadowing and Flashback in the Novel "Tasrih bi-Diya'" (Declaration of Loss) by Samir al-Qaysi*, by Zeina Asmahan. Master's Thesis, University of Ain Temouchent Belhadj Bouchaib, Faculty of Letters, Languages and Social Sciences, Department of Arabic Language and Literature, 2021–2022 (1442–1443 AH).
- *The Narrative Structure in Stories Directed to Children*, by Naima Rawabhi. Master's Thesis, University of Mohamed Boudiaf of M'sila, 2016–2017.

- *The Novelistic Space in the Literature of Mu'nis al-Razzaz*, by Najwa Muhammad Jumʿa. PhD Dissertation, University of Basrah, College of Education, 2011 (1432 AH).
- *Irony in the Stories of Walid Ikhlasi*, by Arshad Yusuf ʿAbbas. PhD Dissertation, University of Mosul, College of Education, 2006.
- *Narrative Features in the Poetry of the Poets of al-ʿAshr al-Tiwal (The Ten Long Odes)*, by Milad ʿAdil Jamal al-Mawla. PhD Dissertation, University of Mosul, College of Education, 2011 (1432 AH).
- Poets attitude in pre-lslamic era towards the time between Challenge and Submission, Hassan Salih sultan, . PhD Dissertation, University of Mosul, College of Education, Iraq, 2005 (1426 AH).